السياق والدلالة في المعاجم وكتب فقه اللغة

د.عبد الغني بن أحمد

المركز الجامعي بريكة

– ملخص:

استعمل المعجميون القدامى عدة طرق لتحديد دلالات الكلمات، منها: التفسير بالمغايرة،، والتفسير بالمصاحبة أي ما يصحب الكلمة من كلمات هي جزء من معناها الأساسي، وفي كثير من الأحيان يلجئون إلى التفسير بالسياق.

الكلمات المفتاحية: السياق، المعجم، الدلالة، الكلمة، اللغة، النص.

– القدامى والسياق:

إن فكرة السياق في التراث العربي وردت في شكل ملامح وبوادر طرقت أفكار اللغويين، البلاغيين، النحويين، المفسرين وغيرهم، ولكنها لم تتبلور عندهم كنظرية ناضجة كما هي عليه الآن في الدرس اللغوي الحديث؛ لهذا يصعب علينا أن نجد هذه النظرية واضحة بكل أبعادها عندهم. لقد برزت عناصر هذه النظرية عندهم منبثة في مجموعة من القضايا اللغوية وغير اللغوية يمكن حصرها في النظرات النقدية في الشعر والشعراء، وعنايتهم بالقرآن الكريم التي اقتضت تناول مسائل لغوية متعددة، وكذلك بحوثهم البلاغية وحديثهم عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال.[1]

اهتم اللغويون القدماء بصفة عامة بالسياق اهتماما كبيرا، وذلك في مرحلة مبكرة للتأليف في اللغة والنحو، تجلى ذلك في ثنايا كتبهم متنبهين إلى أهمية دراسة النّص في سياقه الذي قيل فيه، إذ "يمكن عدّ صنيع المعجميين العرب القدامى في أكثر أوجهه وصفا للاستعمال الفعلي للغة، وهذا الوصف مستندٌ أساسا إلى ملاحظاتهم "السياق" أو "المقام" الذي تجري فيه اللغة نشاطا تواصليا، لايمكن الوقوف على دلالة بعض نصوصه الإبداعية من غير الإحاطة بالظروف التاريخية أو الاجتماعية، أو السياسية، أو الدينية، أو الأعراف والتقاليد والأذواق التي

أحاطت به، والحيز الزماني والمكاني الذي أنتجت فيه، أو اكتنف لحظات إبداعه، وهو حيز مقامي حالي أساسا.[2]

إن أكثر هؤلاء المعجميين كانوا يقصدون البوادي التي سلمت ألسنتها من اللحن الناجم عن الاحتكاك بالأعاجم حرصا منهم على أخذ اللغة صافية وفي سياقها الذي استعملت فيه، ليقفوا عند الدلالة المركزية للمفردة واستعمالاتها الأخرى، وقد أطلعنا الأزهري(ت 370 ه) على دوافع تأليف كتابه "تهذيب اللغة،" قال: "وَقد دَعَاني إِلَى مَا جمعتُ في هذا الكتاب من لُغات العَرَب وألفاظها، واستقصيتُ في تتبُّعٍ مَا حصَّلت منها، والاستشهاد بشواهد أشعارها المعْرُوفة لفصحاء شعرائها، التي احتجَّ بها أهل المعرفة المؤتمنون عليْهَا، خلال ثلاث:مِنْها تَقْييد نكتٍ حفظتُها ووعيتُها عن أفْوَاه العرب الَّذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرانيهم سنيَّات، إذ كان مَا أثبتَه كثيرٌ من أئمة أهل اللُّغة في الكتب التي ألّفوها، والنوادر التي جمعوها لا ينوبُ منَابَ المشاهدة ، ولايقوم مقَام الدُّربة والعَادَة." [3] والمقصود من قوله: (لا ينوب مناب المشاهدة) هو وعيه الكبير بأهمية مراعات سياق الحال في معرفة دلالات الألفاظ ومعانيها واستعمالاتها.

ونجد في هذا السياق ابن جنّي (ت 392ه) يلحّ على ضرورة الاعتماد على المشاهدة في تسجيل اللغة، يقول: "فليت شعري، إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي إسحاق ويونس وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعي ومن في الطبقة والوقت من علماء البلديْن، وجوه العَرب فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد له من أغراضها، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات، ولا تضبطه الروايات، فتضطر إلى قصود العَرب وغوامض ما في أنفسها حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلّتهُ عليه إشارة لا عبارة لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقاً في غير متَّهم الرأي والنحيزة والعقل.[4]

ويذهب ابن جنّي إلى أن رواية اللغة وحكايتها بعيدا عن حضور موقف حدوثها ومشاهدة وجوه العرب حالة تعاطيهم لها، يغفل كثيرا من الأشياء التي من شأنها أن تضيء جوانب هامة تتصل بمقصد وغرض كلامهم، كما أننا نستنتج من أن هذه المشاهدة تتضمن مستويات ثلاثة؛ سياق الحال أو الموقف أو المحيط الذي استعملت فيه اللغة، والمستوى الصوتي فوق التركيبي

كالنبر والتنغيم والمفصل الخ الذي لا يمكن تسجيله بالكتابة العادية، ومستوى الإشارة الجسمية المصاحبة أو المعوضة للغة المنقولة.

ويبين ابن جنّي أهمية سياق الموقف ودوره في فهم النّص، وذلك في معرض حديثه عن القياس والسماع، منتقدا جماعة من العلماء الذي غيبوا السياق في تفسيرهم لمعاني النّصوص، قال:"... فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب"ووجوهها"، وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقُصودها: من استخفافها شيئا أو استثقاله، وتقلبه أو إنكاره، والأنس به أو الاستيحاش منه، والرضا به أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقُصود بل الحالفة على ما في النفوس، ألا ترى إلى قوله:

تقول وصكت وجهها بيمينها * أبعلي هذا بالرحى المتقاعس**

فلو قال حاكياً عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس –من غير أن يذكر صك الوجه-لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة، لكنه لما حكى الحال حيث قال: "وصكت وجهها" علم بذلك قوة إنكارها وتعاظم الصورة لها. هذا مع أنك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها ولو شاهدتها لكنت بها أعرف ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل "ليس المخبر كالمعاين" ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله: وصكت وجهها لم نعرف به حقيقة تعاظم الأمر لها. وليست كل حكاية تروى لنا ولا كل خبر ينقل إلينا يشفع به شرح الأحوال التابعة له، المقترنة-كانت- به. نعم ولو نقلت إلينا لم نفد بسماعها ما كنا نفيده لو حضرناها.[5]

يريد ابن جنّي لفت الانتباه إلى أثر سياق الموقف في توضيح ما أراده الشاعر، لأن القول وحده لا يمكّننا من معرفة حال المرأة أثناء حدوث صكّ الوجه الذي قد ترافقه حركات كثيرة تؤثر في فهم النّص، كهيئة وقوفها أو جلوسها، وقوة اللطم، وتلون الوجه، ورد فعل الحاضرين وأشياء أخرى.

وبالعودة إلى أصحاب المعاجم والنظر إلى المصنفات التي وصلتنا نجد أنها "تدل على إدراك اللغويين العرب الصائب إلى أن العمل المعجمي ليس علاقة لفظ معين بدلالة، أو مسمىً، أو مفهوم معين، وإنما هو رصد للغة في حركتها الاجتماعية بملاحظة السياق الذي تجري فيه،

فتنوع استعمالات الكلمة، وتعدد أبنيتها قياسا إلى وظيفتها السياقية، وطبيعة مستعمليها، ثقافة، وأعرافا، وجنسا، وانتماءً طبقيا، كل ذلك مرهون بالميول والحاجات التي يتوخاها المتكلمون عند التعبير عن أغراضهم وحاجاتهم، ومقاصدهم، وهذه تستند إلى سياق محدد، ومقام معين يحيط بها، ويوجه استعمالها."[6]

كل ما تمّ الحديث عنه يمكن إدراجه ضمن سياق الحال، الذي يراعي أحوال مستعملي اللغة وهيئاتهم ومستوياتهم والعناصر المصاحبة لكلامهم.

ويمكن أن نقف على طرائق متعددة انتهجها المعجميون القدماء في تحديد معاني الكلمات ودلالاتها المختلفة، كالتفسير بالمغايرة وعادة ما يكون التعبير عنها بلفظ نقيض أو ضدّ أو خلاف، و التفسير بالمصاحبة أي ما يصحب الكلمة من كلمات هي جزء من معناها الأساسي، وفي كثير من الأحيان يلجؤون إلى التفسير بالسياق لفظيا كان أم مقاميا.[7]

فالاستعانة على شرح معنى كلمة بما يجاورها من الوحدات الكلامية الأخرى، هو منهج كان في صلب أعمال المعاجم العربية القديمة، إذلم يكن المعجمي يورد اللفظة منزوعة من سياقها بل كان يقدمها في سياقها الذي يحكم دلالتها وتدور معه وتتغير وفقه.[8]

ويتبين لنا مما سبق أن السياق عنصر من أهم عناصر تحديد المعنى عند أصحاب المعاجم، ولنأخذ نموذجا من معجم العين للخليل بن أحمد(ت 175هـ) نستوضح به طريقة الخليل في معالجة المادة اللغوية وكيفية تحديد دلالاتها، وهو منهج سائد في سائر مواد المعجم، إضافة إلى الطريقة المبتكرة التي اعتمد عليها في ترتيب معجمه.[9]

يقول الخليل في باب الثنائي الصحيح: "العين مع القاف وما قبله مهمل"

عق، قع:

قال الليث: قال الخليل: العرب تقول: عقَّ الرجل ابنِه يعِقُّ إذا حَلَق عقيقتَه وذبَح عنه شاةً وتُسمى الشاةُ التي تُذبَح لذلك: عقيقةً، قال ليث: تُوفر أعضاؤها فتطبخ بماء وملح وتُطعَمُ المساكين.

ومن الحديث كل امرئ مُرتهن بعقيقتِه. وفي الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقَّ عن الحسن والحسين بزِنة شعرهما وَرِقاً.

والعِقّة: العقيقة وتُجمَع عِققًا. والعقيقة: الشَّعر الذي يولد الولدُ به وتسمى الشاة التي تذبح لذلك عقيقة، يقع اسم الذَّبح على الطعام ، كما وقع اسم الجزور التي تنقع على النَّقيعة وقال زهير في العقيقة:

أذلك أم أقبُّ البطْنِ جَأْبٌ * عليه من عَقيقتِه عِفاءُ**[10]

وقال امرؤ القيس:

يا هندُ لا تَنْكِحي بُوهةً * عليه عقيتُه أحْسَبَا**

ويقال: أعقَّتِ الحامل ، إذا نبتتْ العقيقة على ولدها في بطنها فهي مُعقّ وعقوق.

العقوق: عُقُق.

قال رؤبة:

قد عَتَق الأجدَعُ بعد رِقّ* بقارحٍ أو زَوْلةٍ مُعِقُّ**

وقال:

وسْوَس يدعُو مُخلِصا رِبَّ الفَلقْ*سِرًّا وقد أَوَّنَ تأوينَ العُقُق**

وقال أيضا:

كالهرويّ انجاب عن لون السَّرقْ طَيّر عنها النَّسرَ حَوليُّ العِقَقْ

أي جماعة العِقّة.

وقال عَديُّ بن زيد في العِقّة أي العقيقة:

صَخِب التعشير نوّامُ الضُّحى * ناسِلٌ عِقَّتهُ مِثلَ المسَدْ**

ونوى العقوق: نوىً هشٌّ لَيِّنٌ رِخوُ الممضغة، تُعلَفه الناقةُ العقوق إلطافا لها فلذلك أُضيف إليها، وتأكله العجوز. وهي من كلام أهل البصرة، ولاتعرفه الأعراب في بواديها.

وعقيقة البرْق: ما يبقى في السَّحاب من شُعاعه. وجمعه العقائِق، قال عمرو بن كلثوم:

بسُمـر مـن قـنا الخَطّيِّ لُدنٍ* وبـيـضٍ كالعـقـائِقِ يَخـتـلينَا**

وانعقَّالبرقُ إذا تسَّرب في السَّحاب، وانْعقَّ الغبارُ: إذا سطع.

قال رؤبة: إذا العَجاجُالمستطَار انْعَقَّا

قال أبو عبد الله: أصل العقِّ الشَّقُّ. وإليه يرجع عُقُوق الوالديْن وهو قطعُهما، لأنّ الشّق والقطع واحد، يقال: عَقَّ ثوبه إذا شقَّه. عقَّ والديه يعُقُّهما عَقًّا وعُقُوقًا، قال زهير:

فأصْبحْتُما منها على خَيْر موطنٍ * بعيدَينِ فيها عن عُقوقٍ ومَأْثَمِ**

وقال آخر:

إن البـنينَ شِـرارُهـم أمـثـاله ***مـنْ عـقَّ والـده وَبـرَّالأبعـدَا

وقال أبو سُفيان بنُ حرب(لحمزة سيِّد الشهداء، يوم أُحد حين مرّ به وهو مقتول: "ذُقْ عُقَقُ" أي ذُق جزاء ما فعلت) يا عاقُّ لأنّك قطعت رحِمك وخالفك آباءك. والمعَقَّةُ والعُقوق واحد، قال النابغة:

أحلامُ عـادٍ وأجسـامٌ مُـطهَّرةٌ* من المعَـقَّـةِ والآفـاتِ والإِثـمِ**[11]

والعقيق: خَرَز أحمرُ يُنْظمُ ويُتّخذ منه الفصوص، الواحدة عَقيقة.(والعقيق وادٍ بالحجاز كأنّه عُقَّ أي شُقَّ، غلبت عليه الصِّفة غلبةَ الاسم ولزمتهُ الألف واللام كأنه جُعل الشيء بعينه)

وقال جرير:

فهَيْهاتَ هيْهاَت العقيقُ وأهلُه* وهيْهَات خِلُّبالعـقيـقِنُواصِلُهْ**

أي بعد العَقيقُ.

والعَقْعقُ: طائرٌ طويلُ الذيل أبْلق يُعَقْعِقُ بصوته وجمعُه عقاعِق."[12]

نجد الخليل في معالجته لمادة (ع ق ق) وتحديد دلالالتها، قد اعتمد على السياق بأنواعه؛ فنجده يستعين على شرح اللفظة بمجموعة من الوحدات الكلامية التي تسبق اللفظة أو تلحقها، والمتمثلة في الشعر وأقوال العرب، وتارة يتعرض لبنيتها الصوتية والصرفية والتركيبية، وهذا كله يندرج ضمن السياق اللغوي، وتارة يوظف السياق الثقافي أو الديني والمتمثل في الحديث النبوي الشريف، ومرّة السياق التاريخي الذي يُثري معنى العقوق، الذي عادة ما يربطه الناس بالوالدين، وإيراده قو ل أبي سفيان لحمزة يوم أحد مقتولا: "ذُق عُقَقٌ،" دلالة على أن مخالفة العشيرة عقوق أيضا، كما نستشعر من هذا السياق، سياقا عاطفيا يبين مشاعر القسوة والتهكم، ولا أظن الخليل قد ذكره اعتباطيا، وتارةأخرى يستعين بالسياق العرفي والمتضمن عادات العرب وأعرافها، وهذا كله يمكن إدراجه ضمن السياق الخارجي أو السياق غير اللغوي.

وتطورت فكرة السياق فيما بعد، وذلك بسبب التراكم اللغوي والمعرفي والتطور الثقافي، وتوسع مجالات التأليف والكتابة في صنوف كثيرة من العلوم اللغوية والأدبية، وتجلى هذا التطور في ظهور معجم أساس البلاغة للزمخشري(ت 538ه) الذي يعتبر معجما سياقيا للعبارات البليغة، ويختلف هدفه عن المعاجم اللغوية، إذ إن "الشغل الشاغل للمعجم اللغوي: اللفظة المفردة، أيّا كان معناها، وأيّا كان قائلها، وأية كانت منزلتها الأدبية، أما المعجم البلاغي فيعنى بالعبارة المركبة، وليست كل عبارة مركبة، وإنما العبارة التي لها مركز ممتاز في عالم اللغة والأدب، فيورد الألفاظ في استعمالاتها العربية البليغة، ولا يأتي بها مفردة عارية عن التركيب غالبا."[13]

ولعلّ أهم ما يميز هذا المعجم، هو التفريق بين المعاني الحقيقية، والمعاني المجازية للكلمة، وإبراز أثر الاستعمال في حياتها وتعيين دلالتها وتحديد معناها، والتأريخ لمعانيودلالات ألفاظ النّصوص الأدبية في سياقاتها الزمنية المختلفة، والوقوف على شيء من إيحاء الكلمة، ووقعها على نفس سامعها، فالدلالة المعجمية المجردة ليست هي كل دلالة الكلمة، وليست هي

الدلالة الأدبية التي تحمل عنصر التأثير النفسي للكلمة، وما لها من وقع على سامعها بما تثيره من أحاسيس، وما تلفت إليه من آفاق.[14]

أما الإضافة التي يقدمها الزمخشري في أساسه لدلالة الألفاظ، هي إيراد سياقها المجازي ليفيدنا بمعنى جديدا لم نجده عند الخليل حتى في نفس المادة اللغوية، وللتوضيح والمقارنة نذكر مثالا على ذلك:

يقول الزمخشري في مادة (ع ق ق): "ما أعقّهُ لأبيه. وتقول: فلان هيّنُ المَبَرَّة شديدُ المعَقَّة.قال:

أحلامُ عادٍ وأجساد مُطهَّرة * من المعَقَّة والآفاتِ والإثِم**

و"ذُق عُقَقٌ" .مثلك في وادي العُقوق، "أعز من الأبلق العَقُوق"؛ وهي الحامل التي نبتت العقيقةُ وهي الشّعرُ على ولدها، وقد أعققت فهي مُعِقٌ وعَقُوق. ويقال: أهشُّ من نوَى العَقوق وهو نوَى هشٌّ ليّن الممضغة تعلفُه العَقُوق إلطافا بها. وتقول: ما أدري شمْت عقيقه، أم شمتُ عقيقَهُ؛ أي سللتَ سيفا أم نظرتُ إلى بَرْقٍ وهي البَرْقة التي تستطيل في عُرض السَّحاب، ولقد أكثروا استعارتها للسَّيفِ حتى جعلوها من أسمائه، فقالوا: سلّوا عقائِق، كالعقائق؛ ونحوه ول بِشر بن أبي خازم:

رأى دُرّةً بيضاءَ يحفل لونها * سُخامٌ كغِربَان البَرير مُقصَّبُ**

وهي عناقيده. وانْعقَّالبَرْقُ: تسرَّب في السحاب. وفي كلام أعرابيّة: سحماءُ عقّاقَهْ، كأنَّها حِوْلاءُ ناقَهْ."[15]

حيث نجد الزمخشري لا يفسر الكلمة بكلمات أو بعبارات، وإنما يشير إلى مواطن استعمالها، بذكرها في عبارات مؤلفة أو مأثورة من فصيح الكلام العربي شعره ونثره، ويترك للقارئ استخلاص معانيها المختلفة بنفسه- بعد أن يهيئ له الأرضية- من سياق العبارات التي ترد فيها.

وبإجراء مقارنة بين ما أورده الخليل في معجمه من دلالات تنضوي تحت مادة: (ع ق ق)، وبين ما ذكره الزمخشري في المادةنفسها، نقف عند معنى إضافي لم يذكره الخليل، دلّ عليه السياق البلاغي، وهو استعارة اسم البرْق في قوله: "ما أدري شمْتَ عقيقَه، أم شمتُ عقيقَه؛ أي سللتَ سيفا أم نظرتُ إلى برقٍ وهي البرقَة التي تستطيل في عُرض السّحاب، ولقد أكثروا استعارتها للسَّيف حتى جعلوها من أسمائه، فقالوا: سلوا عقائق، كالعقائق"، والدليل على اهتمام الزمخشري بإثرائه للسياقات البلاغية التي تستعمل فيها الكلمة، هو إهماله لسياقات أخرى ذكرها الخليل، مثل السياق التاريخي للقول الذي أورده في ثنايا المادة "ذق عقق"، حيث أورد الخليل سياقه، قال: وقال أبو سفيان بن حرب (لحمزة سيِّد الشهداء، يوم أحد حين مرَّ به وهو مقتول: "ذُق عُقَقٌ" أي ذق جزاء ما فعلت)[16]

ومن أصحاب المعاجم الذين وظفوا السياق في تفسير الألفاظ والكشف عن معانيها، صاحب كتاب القاموس المحيط الفيروز آبادي(ت 817ه) حيث كان يحدد دلالاتها عن طريق تضافرها في الكلّ لبيانها وتوضيح المراد منها والمقصود بها حسب السياق الذي ترد فيه، [17] فهو يعمد إلى تفسير كل لفظة تفسيرا لغويا ثم يذكر ارتباطات الألفاظ ومواضع ورودها وطريقة استعمالها مشفّعا أدلّتَه بالآيات القرآنية، وأقوال العرب أمثالا وشعرا ونثرا.

وفي معرض حديثنا عن السياق، نشير إلى ملامحه عند أصحاب كتب فقه اللغة، الذين عوّلوا عليه كثيرا في شرح بعض القضايا الدلالية الي تناولوها في ثنايا كتبهم، كالمشترك اللفظي والتضاد والترادف، وما دار حولهما من جدل بين منكر ومثبت.

ولعل أهم كتاب يستوقفنا في هذه القضايا، المنجَّد في اللغة لأبي الحسن كراع النمل(ت 310ه) الذي سلك طريق السياق في التمييز بين معاني ودلالات الألفاظ المشتركة، حيث يذكر اللفظة الواحدة، ثم يضعها في سياقات مختلفة، ويشرح معناها مستعينا بالسياق الذي ترد فيه، وهذا ما نلاحظه في هذا المثال، قال كراع النمل في باب الطير: "والصَّقْر: بالصاد والسين: الطائرُ الذي يصيدُ، وجمعه صُقور وصُقورةً، بالصاد والسين. والصَّقْرُ: الدِّبسُ الذي يخرج من الرُّطب، شِبْه العسل. والصَّقر أيضا: شدةُ الحرّ، وقد صقرتهُ الشمسُ صَقرًا: إذا حمِيتْ عليه. ويُقال: صقَرتهُ بالعصا صقْرًا، إذا ضربته بها، مثل صَقَعْتُه."[18]

فكلمة الصقر تعني هنا؛ الطائر، وشيء يشبه العسل، والحر الشديد، والضرب بالعصا.وعلى هذا النهج سار ابن فارس(ت 395ه) في كتابه الصَّاحبي في فقه اللغة، وذلك من خلال حديثه عن "الأسماء كيف تقع على المسميات" ومما أشار إليه، أن يسمّى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام كرَجُل وفرس.وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد(المشترك اللفظي) نحو: "عين الماء" و"عين المال" و"عين السحاب."[19]

نلمس أن كلا كراع النمل وابن فارسيربان وقوع ظاهرة المشترك اللفظي في اللغة العربية، وأن الفيصل في تبيان معاني هذه المشتركات هو السياق.

ونجد في كتاب الأضداد للأنباري(ت 328ه) قضية دلالية هامة تتمثل في "التضاد"، الذي هو حسب رأيه نوع خاص من أنواع المشترك اللفظي، يعتمد على معرفة معناه من خلال السياق الذي يرد فيه، يقول في مقدمته: "هذا كتاب ذِكْر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادّة، فيكون الحرف منها مؤدِّيا عن معنيين مختلفين، ويظن أهل البدع والزَّيغ والإزراء بالعرب، أنَّ ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم، وقلّة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم، وعند اتّصال مخاطباتهم، فيسألون عن ذلك، ويحتجون بأنّ الاسم مُنِئ عن المعنى الذي تحته ودالٌّ عليه، وموضح تأويله، فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفانلم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمّي[20].

فأجيبوا عن هذا الذي ظنّوه وسألوا عنه بضروب من الأجوبة: أحدهن أنّ كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوّله بآخره، ولا يُعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللَّفظة على المعنيين المتضادَّيْن، لأنها يتقدَّمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلاّ معنى واحد؛ فمن ذلك قول الشاعر:

كلُّ شيءٍ ما خَلا الموتَ جَلَلْ*والفتَى يسعَى ويُلهيهِ الأملُ**[21]

فدل ما تقدم قبل "جلل" وما تأخّر بعده على أنَّ معناه: كل شيء ما خلا الموت يَسير؛ ولا يتوهّم ذو عقل وتمييز أنَّ الجلل ها هنا معناه عظيم.[22]

ومن القضايا الدلالية التي شغلت القدماء قبل المحدثين، قضية " الترادف" التي انقسموا حولها بين مثبت ومنكر لها في اللغة العربية، وتعرض ابن فارس إلى هذه القضية بقوله: "ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة (الترادف) نحو:"السيف والمهند والحسام".

والذي نقوله في هذا: إن الاسم واحد وهو "السيف" وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى. [23] ويرجع الدارسون السبب في بروز هذه القضايا إلى التراكم المعرفي والازدهار اللغوي عند العرب، الذي لفت عناية اللغويين بالفروق الدقيقة بين الألفاظ، فوضعوا في ذلك مصنفات خاصة، نجد منهم كتاب "الفروق" لأبي هلال العسكري(ت 395هـ)، وكتاب "أدب الكاتب" لابن قتيبة(ت 276هـ)، وكتاب "فقه اللغة وأسرار العربية" للثعالبي(ت429هـ)[24]

والذي يهمنا هنا، ليس بيان اختلافهم واتفاقهم في هذه القضايا، فالذي يهمنا، هي الطريقة التي عالجوا بها هذه القضايا الدلالية، والتي عوّلوا فيها على السياق، فهو الذي يكشف ويوضح المعاني المتعددة للفظ الواحد، كما وضعوا لكل سياق ما يناسبه من استعمال الألفاظ.

---

[1] ينظر: عبد النعيم خليل، نظري السياق بين القدماء والمحدثين- دراسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء، ط 1، الإسكندرية، 2007 م، ص: 108

[2] هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، ط 2، إربد-الأردن، 2011، ص: 232

[2]

[3] الأزهري(أبو منصور محمد بن أحمد)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت، 2001، ج 1، ص: 7.

[4] ابن جنّي(أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 4، القاهرة، 1999 م، ج 1، ص: 249.

[5] ابن جنّي، الخصائص، ج 1، ص: 246-247.

[6] هاد نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، المرجع السابق، ص: 233[6] بيرش

[7] ينظر: محمد نور الدين المنجد، الاشتراك اللفظي في القرآن بين النظرية والتطبيق، دار الفكر، ط 1، دمشق، 1999 م، ص: 40.

[8] فايز الداية، علم الدلالة العربي، ص: 33.

[9] لقد اعتمد الخليل في بناء معجمه على طريقة تجمع بين العنصر الصوتي والعنصر الرياضي، حيث ابتدع ترتيبا خاصا به يراعي فيه مخارج الحروف، مبتدئا بحروف الحلق ثم حروف الحنك، ثم الأضراس ثم الشفاه، وجعل

حروف العلة آخرا، وهي هوائية. وجعل معجمه كتبا على حروف الهجاء مبتدئا بحرف "العين"، كما اعتمد عل نظرية رياضية لم يسبق إليها في حصر مواد اللسان العربي، عرفت بنظام"التقليبات"ليميز بين المستعمل والمهمل. ينظر: الدكتور/ ابن حُوَيْلي الأخضر مِيْدني، تاريخ المعجم العربي بين النشأة والتطور، دار هومة، الجزائر، 2009، ص: 58 وما بعدها

[10] زهير بن أبي سلمى، ديوانه، شرحه وقدم له: الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 1408هـ، 1988 م، ص: 15. ورد صدر البيت "أذلك أم شتيم الوجه جأب " قال المحققان: هي رواية الأعلم. والبيت من الوافر.

[11] النابغةالذبياني(زياد بن معاوية)، الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، د ط، مصر، 1977 م، ص: 101، والبيت من الوسيط.

[12] الخليل بن أحمد الفراهيدي(أبو عبد الرحمان)، كتاب العين، تح: د مهدي المخزومي ود إبراهيم السامراني، منشورات مؤسسة الأعلمي[12] للمطبوعات، ط 1، بيروت-لبنان، 1988 م، ج 1 ، ص: 62، 63، 64.

[13] حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، ط 4، 1408 هـ، 1988 م، ج 2، ص: 551.

[14] ينظر: أمين الخولي، مقدمة أساس البلاغة بين المعاجم، تح الأستاذ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، د ط، بيروت، لبنان، د ت، ص: (ح، ط)

[15] الزمخشري(أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد)، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 1419هـ، 1998 م، ج 1، ص: 669، 670.

[16] الخليل، كتاب العين، ص: 64.

[17] بصائر دوي التمييز، ج 1، ص: 56.

[18] كراع النمل(أبو الحسن علي بن الحسن)، المنجد في اللغة، تح: د أحمد مختار عمر، د ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، ط 2، القاهرة، 1988 م، ص: 85.

[19] ابن فارس(أبو الحسين أحمد)، الصابحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، محمد علي بيضون، ط 1، 1418 هـ، 1997م،ص: 59

[20] النقد هنا موجه إلى أولئك الذين أنكروا المشترك اللفظي، الذين يرون أن في المشترك اللفظي إعاقة للتواصل وعلى رأسهم ابن دستروبه، معللين ذلك؛ بأن اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، ولو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحدهما ضد الآخر، لما كان ذلك إبانة، بل تعمية وتغطية .ينظر: مهدي أسعد عرار، جدل اللفظ والمعنى- دراسة في دلالة الكلمة العربية- دار وائل للنشر، ط 1، عمان، 2002 م، ص: 223

[21] البيت من الكامل وينسب للبيد بن ربيعة، ينظر المزهر، ص: 398.

[22] الأنباري(أبو بكر محمد بن القاسم)، الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، د ط، بيروت، لبنان، 1407 هـ، 1987 م، ص: 1،2.

[23] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص: 59.

[24] ينظر: محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية-دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد- دار الفكر، ط 2، بيروت، لبنان، 2005 م، ص: 318، 319.